مسرحية بقلم
برتولت برشت

قائل نعم .. وقائل لا !

تعريب وتقديم
الدكتور عبد الغفار مكاوي

١ ـ تمهيد

كتب برشت «قائل نعم وقائل لا» بين سنتي ١٩٢٩ و١٩٣٠ . وتقع هذه المسرحية فيما يسمى بالمرحلة التعليمية من انتاجه ، وهي التي انفق النقاد على وضعها بين المرحلة التعبيرية الباكرة (وتضم مسرحياته «بعل» و«طبول في الليل» و«في اجراس المدن») ومرحلة المسرحيات الكبرى التي كتبها في اواخر حياته (ومن بينها «حياة جاليليو» و«انسان سنشوان الطيب» و«دائرة الطباشير القوقازية») . ويبدو ان موضوع «الموافقة» التي قد تصل الى حد التضحية بالنفس وموت الفرد في سبيل المجموع كافة تشغله في هذه الفترة من حياته، اذ اصدر قبلها مباشرة مسرحية تتناول نفس المشكلة وهي مسرحية «بادن التعليمية عن الموافقة» .

والمسرحية التي ستقرأها على الصفحات التالية تعتمد على مسرحية اخرى يابانية اسمها «تانيكو» ألفها الكاتب «زنشيكو» وهو من مدرسة الكاهن والممثل والكاتب المسرحي الذي يرجع اليه الفضل في خلق مسرح «النو» المشهور ، وهو سيامي موتوكيو (١٣٦٣-١٤٤٤). وقد ترجمها العالم الانجليزي في اللغة الصينية وآدابها « آرثر والي» (*) ونقلتها سكرتيرة برشت ومساعدته اليزابيث هاوبتمان الى الالمانية ، ثم لحنها الموسيقي كورت فايل وجعل منها اوبرا مدرسية يمثلها تلاميذ المدارس ويغنونها ويتعلمون منها .

لعل اهم ما لفت انتباه برشت الى هذه المسرحية القصيرة (وهي في الترجمة الانجليزية لا تكاد تزيد عن خمس صفحات) هو حبه للمسرح الاسيوي ـ الصيني والياباني ـ والحكمة الشرقية بوجه عام، ثم العناصر الملحمية الواضحة التي تنطوي عليها هذه المسرحية . ولقد ظل برشت على اهتمامه بمسرح «النو No» الياباني (والكلمة تدل في اللغة الصينية على الموهبة او الفن او العرض والتمثيل) الذي تطور في القرن الرابع عشر الى نوع من المسرحية الغنائية الاستعراضية التي تجمع بين الالقاء والتمثيل والرقص التوفيقي والموسيقى والايماء والالعاب البهلوانية واستخدام الاقنعة والديكور البسيط الموحي والملابس الزاهية الفخمة والمساحيق المفرطة وأغاني الجوقة الى جانب الادوار الغنائية والتعليقات والمشاهد المسرحية من الروايات والقصص القديمة بحيث تبدو من هذه الناحية اشبه ما يكون بالجوقة الاغريقية القديمة او الاوبرا الايطالية او القداس الالماني .

احب برشت هذا المسرح اذن بكل اشكاله المتأخرة التي يصعب الحديث عنها في هذا المقام ، وأعجب ايما اعجاب بالحركة والايماء اللذين يقومان بالدور الرئيسي في العرض المسرحي وينسجمان انسجاما تاما مع المعنى الذي يريد التعبير عنه او الدرس الاخلاقي الذي يبغي تلقينه للمتفرجين . ولا بد ان القليل الذي شاهده من المسرح الصيني والياباني عندما كان يعيش في موسكو هربا من الطغيان النازي قد زاده حماسا لهذا المسرح ، واعجابا بالممثل الصيني القدير «ماي لان فانج» الذي شاءت الصدفة ان يشاهده هناك ايضا ويجد فيه التجسيد الحي للمثل الملحمي البعيد عن الاندماج في دوره او الذي يعرضه متجردا من شخصه بحيث يمثله ويتأمله ويندهش لغرابته ايضا في وقت واحد ! رأي برشت ان هذا المسرح يختلف تمام الاختلاف عن المسرح الغربي ، فهو مسرح يغلب عليه الطابع الرمزي ويبتعد عن التصوير الواقعي والتعبير عن فردية البطل او شخصيته الى تصوير الخصائص الدالة والنماذج العامة في وحدة شاملة تتألف

(*) وهو الذي ترجم ايضا الكتاب المشهور «تاو-تي-كنج» او كتاب الطريق والفضيلة الذي يعد احد الكتب الاساسية في التصوف والحكمة الشرقية والكتاب المقدس للطائفة الطاوية ، وقد اعتمدت على ترجمته عندما نقلت هذا الكتاب منذ سنوات الى العربية .

من تعبيرات الوجه وحركة الجسم وايقاع الكلام والغناء .. الخ .
والمهم ان برشت تأثر الى اقصى حد بهذا اللون من التمثيل الذي يقوم على الحركة والاشارة والايماء ، ويعتمد على تجرد الممثل من شخصيته ليكون قادرا على تمثيل الطابع العام ، اي انه يبتعد كل البعد عن التأثير عن طريق الانفعال والاندماج واثارة الوهم في نفوس المتفرجين ، وهي الامور الشائعة في المسرح الغربي التقليدي . اضف الى هذا ان هذا المسرح في صميمه مسرح «تعليمي» اي انه يهدف في كل ما يقدم من اعمال تاريخية او اجتماعية ـ وبحسب القانون الجنائي الصيني نفسه ! ـ الى تربية المتفرج وتلقينه درسا اخلاقيا مباشرا لا موارية فيه . وطبيعي ان يجد برشت في هذا المسرح وهذا التمثيل بذور نظريته عن المسرح الملحمي . فهو يعتمد على الموسيقى والغناء الى جانب القصة والرواية ، وهو يهتم بالحركة والبعد عن التأثير على المتفرج او محاولة ادماجه في الموقف المسرحي ، اي البعد عن الانفعال من جانب الممثل والمتفرج على السواء . وهذا كله جعله يهتم في تلك السنوات بالكتابة عن «أثر الاغراب» او فكرته عن البعد عن الانفعال والاندماج في الدور في المسرح الصيني ، ثم تدوين ملاحظاته عن فن التمثيل الصيني والذهاب الى حد القول بان فن التمثيل الغربي يتجه الى الاخذ بهذا الاسلوب .

تقوم هذه المسرحية او الاوبرا المدرسية على الموافقة التي يمكن ان تفضي بصاحبها الى الموت . ويمهد الكورس الكبير لهذا في بداية المسرحية بقوله :

أهم ما ينبغي تعلمه هو الموافقة .
هناك كثيرون يقولون نعم
ومع ذلك فليس في قولهم موافقة .
كثيرون لا يسألون عن رأيهم ،
وكثيرون يوافقون على الخطأ .
لهذا فان اهم ما ينبغي تعلمه هو الموافقة .

والحكاية التي تدور حولها المسرحية بسيطة غاية في البساطة . فهي تروي قصة صبي ياباني صمم على السفر مع معلمه في رحلة الى الجبال للبحث عن دواء لأمه المريضة . وعندما يبلغ قمة الجبل تخونه قواه ويعجز عن مواصلة السير . ويحاول الطلبة الثلاثة الذين يصحبون المعلم ايضا ان يعبروا به المنحدر الوعر . ولكنهم ينفضون ايديهم من هذه المحاولة المحفوفة بالمخاطر ، ولا يبقى أمامهم الا ان يتركوا الصبي في مكانه ويواصلوا الرحلة ..

ويتقدم المعلم الى الصبي محاولا ان يهيئه لمصيره المحزن . فالعرف السائد يقضي بان يسأل المريض في مثل هذه الرحلة ان كان عليهم ان يرجعوا أدراجهم ، كما يقضي بأن يجيب بالرفض . ويسأله المعلم فيقول الصبي بعد تفكير قصير : لا . لا ينبغي ان نرجعوا . هو اذن موافق على ان يترك وحده في الجبل ، وهو قد نطق بالاجابة التي تمليها الضرورة . ويحقق الرفاق الاربعة هذه الرغبة المفجعة . وهنا يقول الكورس :

هناك اخذ الاصدقاء الجرة
وتشاركوا أقدار هذا الوجود
وقانونه الحزين المرير
ثم القوا بالصبي في الوادي .
وقفوا متلاصقين
على حافة الهاوية
بعيون مغمضة ألقوه
ما من احد منهم
أكبر ذنبا من جاره
ثم القوا فوقه
كومة من التراب
وقبضة من الحصى
وحفنة من الرمال .

***

عرضت «قائل نعم» على هذه الصورة لاول مرة في برلين سنة ١٩٣٠ ، على مسرح المعهد المركزي للتربية والتعليم فأثارت موجة من المناقشات الحادة . ورحبت بها الدوائر المسيحية والبرجوازية ، ورأت انها تؤيد عقيدتها في ضرورة التضحية بالفرد في سبيل المجتمع والنظام الاخلاقي ، وامتثاله لأمر الواجب ، اي لنداء السماء . وذهب البعض الى حد القول بان هذه الاوبرا المدرسية عظة دينية حقة ، وتعبير عن وصية الهية للانسان بأن يخضع لأوامر الجماعة عن حرية واقتناع ويفتدي العالم المذنب بنفسه .. الفداء الحقيقي الذي لا يطمع في بطولة او مجد ، بل ينفذ مشيئة العرف وحكم التقاليد العريقة ..

نجحت الاوبرا الصغيرة اذن نجاحا ساحقا في الدوائر المتدينة والمحافظة ، وأذيعت من محطات الراديو ، ومثلت على مسارح مدرسية لا تحصى ولا تعد . غير ان فريقا من النقاد رفضوها ، واستنكروا ان يتحمس لها رجال التربية ، واعلنوا انها تعلم الأطفال الطاعة والخضوع الاعمى لا الفعل النابع من العقل والارادة الحقة والاحساس بالمسؤولية . بل لقد ساءهم ان تذكر الناس بمن قالوا نعم للحرب العالمية الثانية وما جرته عليهم من جوع ودمار وهوان .. وبمن يقولونها لاصحاب السلطة في كل زمان ومكان ..

وعرضت المسرحية بعد ذلك في مدرسة كارل ماركس في حي نويكلن ببرلين فلقيت معارضة شديدة من جانب التلاميذ . كان من رأي بعضهم انها تجعل من الصبي شهيدا يتقدم للموت باختياره وبلا ادنى مقاومة ، وان العرف الذي يقضي بقتل المريض عرف ظالم وخاطىء كان من واجب الصبي ان يطيل التفكير قبل ان يسرع بالامتثال لهذا العرف الغبي . وكان من رأي البعض الاخر ان موت الصبي لم يكن ضروريا ، وأن الهدف من الرحلة لا يساوي هذه التضحية ، وكان الاولى برفاقه ان يحاولوا انقاذه بدلا من القائه في الهاوية . اضف الى هذا ان المسرحية تفيض بروح صوفية لا يستسيغها التلاميذ بسهولة ، وأحداثها لم تبرر تبريرا مقنعا ولا واقعيا . واقترح بعض التلاميذ ان تعاد صياغتها بحيث تبين ضرر الخرافة والايمان الاعمى بالسلطة ، وتبدأ من موقف جزئي محدد لا من موقف مجرد عام ..

واستجاب برشت لهذه الاصوات الصغيرة المحتجة ... وأعاد كتابة المسرحية تحت عنوان «قائل لا» ، وعدل فيها وغير تغييرات جوهرية . صحيح ان النصف الاول من المسرحية الثانية لا يكاد يختلف عن نظيره في المسرحية الاولى ، ولكن الباعث على الرحلة هنا ليس هو البحث عن دواء للوباء العام الذي انتشر في المدينة ، بل القيام برحلة ابحاث تبتغي العلم والمعرفة والحكمة ، ويرجو الصبي من ورائها ان يعثر على الدواء الذي يشفي أمه .

وتواصل البعثة سيرها كما رأينا في المسرحية الاولى . ويمرض الصبي فيسأله المعلم ـ كما يقضي بذلك العرف ـ ان كان يوافق على الرجوع بسبب حالته . ويصمم الطلبة الثلاثة ـ وهم صوت المجتمع او اللسان الناطق عن النزعة الشمولية ـ على قتله سواء أجاب بما يتفق مع العرف او بما يخالفه ، وحجتهم ان من يقول «أ» لا بد ان يقول «ب» . غير ان الصبي يجيب اجابة لم تكن في الحسبان . فها هو ذا يحتج على العرف ويدعو الى تأسيس عرف جديد وقانون جديد.. بل يطالب الانسان بأن يغير تفكيره ازاء كل موقف جديد يواجهه ...

الصبي : «كانت اجابتي خاطئة . ولكن سؤالكم ايضا كان خاطئا . ان من يقول «أ» لا يتحتم عليه ان يقول «ب» . ففي امكانه ان يتبين ان الـ «أ» كانت خاطئة . لقد اردت ان احصل لأمي على

الدواء ، ولكنني مرضت ولم يعد هذا ممكنا . اريد أن أرجع على الفور لان هذا هو ما يقضي به الموقف الجديد . اما عن العلم الذي تبحثون عنه فيمكنه ان ينتظر . واذا كان هناك شيء يمكن تعلمه ـ وهذا ما ارجوه ـ فلا بد في مثل هذا الموقف الذي نواجهه ان يكون هو الرجوع . وأما عن العرف الاكبر فلست ارى فيه شيئا من العقل، بل انني الان في حاجة الى عرف اخر جديد يجب ان يؤخذ به على الفور ، وأعني به العرف الذي يحتم على الانسان ان يغير تفكيره مع كل موقف جديد يواجهه ..»

ويعترف الطلبة الثلاثة او يعترف المجموع بأن ما يقوله الصبي معقول وان كان يفتقر الى البطولة ، ولا يرون في دفاع الصبي عن نفسه او عن رأيه ما يخجل او يشين . وهكذا يقررون العودة غير عابئين بالسخرية والضحكات التي تنتظرهم من الناس :

اذن فلنعد أدراجنا ، ولنحرص على الا يمنعنا الضحك علينا
او التشهير بنا من فعل الحق والصواب
ولا يعوقنا عرف قديم عن الايمان بفكرة صحيحة .
ثم يتقدمون الى الصبي لينقذوه لا ليقتلوه :
أسند رأسك فوق ذراعي
فوق ذراعه ،
لا تجهد نفسك
وسنحملك برفق .

هكذا يظهر الفارق الكبير بين المسرحيتين . فالاعداد الاخير اكثر رحمة وانسانية ، وهو كذلك اكثر انصافا للعقل البشري الذي ينبغي ان يتطور ويتقدم باستمرار ، وأن يواجه كل موقف جديد بفكر متطور جديد ، ولكنه في نفس الوقت يهرب من المشكلة التي طرحتها المسرحية الاولى . فالرحلة الاولى كانت تريد البحث عن دواء يعين على الشفاء من الوباء الذي يهدد مدينة بأكملها . اما الرحلة الثانية فهي رحلة أبحاث ، اي رحلة علمية خالصة. ومن المستطاع بل من الواجب ان نقطع مثل هذه الرحلة اذا كان الامر يتعلق بانقاذ حياة انسان . ولكن كيف تحل المشكلة التي طرحتها «فائل نعم» ؟ ان الرحلة هنا قد تمت بسبب الوباء العام ، والمعلم يريد مع افراد البعثة ان يلتمسوا الدواء عند الاطباء العظام الذين يسكنون المدينة الواقعة عبر الجبال . والصبي ايضا لم ينضم الى الرحلة الا ليبحث عن دواء لأمه المريضة . فما هو الحل اذا كان العرف القديم يقضي بتضحية الفرد في سبيل المجموع ؟

من الواضح ان المسرحية الثانية لم تقدم حلا حقيقيا لهذه المشكلة . صحيح انها اكثر انسانية وأكثر ثورية من المسرحية السابقة التي تشبه ان تكون بكائية استسلام للقدر . ولكنها اضعف منها من الناحية الدرامية واسرع الى اتخاذ الحل المباشر . ولعل الذنب لا يقع على برشت نفسه بقدر ما يقع على الحكاية الاصلية التي تقوم على التعميم والتركيب الذهني البعيد عن الواقع ، اذ من المستبعد ان يوافق أناس عقلاء على ان يصحبهم صبي ضعيف في مثل هذه الرحلة التي يقدرون مشاقها ومخاطرها .

هذا هو الجانب «البدائي» في هذه المسرحية الفنائية .. ولكن لا يجب ان يغيب عن بالنا انها ـ من حيث التأليف المسرحي والموسيقى على السواء ـ قد وضعت خصيصا لتلاميذ المدارس ، وأن الغرض الاول منها هو تعليمهم وامتاعهم في آن واحد . ولا بد ان آلاف التلاميذ الذين قاموا بتمثيلها والعزف والغناء فيها قد استفادوا من مغزاها الاخلاقي والمعنوي كما استفادوا من التدريب عليها .

هذا الى جانب المناقشات التي اثاروها حولها او التي اثارتها في عقولهم ونفوسهم . والمهم ان برشت وكورت فايل قد تعاونا على خلق الاوبرا التعليمية للمدارس ووضع النموذج الحي امام الاجيال اللاحقة . والمهم ايضا ان برشت لم يجد حرجا من التعلم من تلاميذ صغار ، ولم يكف طوال حياته الخصبة عن التعلم من العمال والممثلين والمتفرجين ومناقشة أعماله معهم وتعديلها وتنقيحها باستمرار ، لتظل تجارب حقيقية حية تعيش للناس وبالناس . وليس اجمل من ان يعترف الكاتب نفسه بأن الفضل في اتجاهه الى الحركة الاشتراكية والفكر الاشتراكي الذي بدأ عنده بداية جادة مع هذه المسرحية انما يرجع الى حد كبير لمناقشات هؤلاء التلاميذ معه ونقدهم لهواعتراضهم عليه ... وأرجو ان يكون هذا درسا نتعلم منه .. سواء كنا نعمل على خشبة المسرح او نجلس في الصالة مع المتفرجين ..

عبد الغفار مكاوي

٢ ـ المسرحيـــة

الاشخاص : المعلم ـ الصبي ـ الام ـ الطلبة الثلاثة الكورس الكبير)

قائل نعـم

ـ ١ ـ

الكورس الكبيـر

اهم ما ينبغي تعلمه هو الموافقة .
هناك كثيرون يقولون نعم ،
ومع ذلك فليس في قولهم موافقة .
كثيرون لا يسألون عن رأيهم ،
وكثيرون يوافقون على الخطأ .
لهذا فان اهم ما ينبغي تعلمه هو الموافقة .
(المعلم في المكان (١) ، الام والصبي في المكان (٢).

المعلـم

ـ انا المعلم . عندي مدرسة في المدينة ، وعندي تلميذ مات ابوه. لم يبق له احد سوى امه التي ترعاه . اريد الان ان اذهب اليهما واودعهما ، لانني سأسافر بعد قليل في رحلة الى الجبال . لقد انتشر الوباء بيننا ، وهناك عدد من الاطباء العظام يسكنون المدينة التي تقع وراء الجبال . (يطرق الباب) هل تسمحون لي بالدخول ؟

الصبي

(ينتقل من المكان (٢) الى المكان (١)
من ؟ آه ! انه المعلم . المعلم جاء يزورنا !

المعلـم

لم لم تأت الى المدرسة منذ وقت طويل ؟

الصبي

لم استطع لان امي كانت مريضة .

المعلـم

لم اعرف ان امك ايضا كانت مريضة . ارجوك . اسرع اليها وقل لها انني هنا .

الصبي

(ينادي على المكان (٢)
امي . المعلم هنا .

الأم

(جالسة في المكان (٢)
اطلب منه ان يتفضل بالدخول .

الصبي

ارجوك . تفضل . (يدخلان المكان (٢)

المعلـم

لم احضر اليكم من وقت طويل . ابنك يقول ان المرض اصابك انت ايضا . هل تحسنت صحتك الان ؟

الأم

للاسف لم تتحسن ، اذ لم يتوصل احد الى الدواء الذي يشفي

من هـــذا المرض .

المعلـم

لا بد من العثور على شيء . ولهذا جئت اودعك : غدا اسافـر في رحلـة الى الجبال للبحث عن الدواء ونصائح الحكماء . ان الاطباء العظام يسكنون المدينة الواقعـة عبر الجبال .

الأم

بعثة اسعاف للجبال ! اجل . لقد سمعت حقا ان الاطباء العظام يسكنون هناك ، ولكني سمعت ايضـا انها جولة خطرة . هل تنـوي ان تأخـذ ولـدي معـك ؟

المعلـم

مثل هذه الرحلـة لا يتحملها الاطفـال .

الأم

حسن . ارجو ان ترجع بالسلامة .

المعلـم

يجب الان ان اذهب . الوداع (ينتقل الى المكان «١»)

الصبي (يتبع المعلم الى المكان «١»)

لا بد ان اقول شيئـا .

(الام تتسمع عنـد الباب)

المعلـم

ماذا تريد ان تقول ؟

الصبي

اريد ان ارحل معك الى الجبـال .

المعلـم

قلت لامك الان

انها رحلـة خطرة شاقـة .

لن يمكنك ان تـأتي معـي .

وفضلا عـن هـذا :

كيف يمكنك ان تترك امـك المريضـة ؟

ابق هنـا .

مستحيل ان تأتي معـي .

الصبي

مرض امي

هو الذي يدعوني للسفـر معـك ،

لاحصل لهـا على الدواء ونصائح الحكمـاء

من الاطباء العظام الذين يسكنون

في المدينة الواقعـة وراء الجبـال .

المعلـم

لا بد ان اتكلم مرة اخرى مـع امك .

(يعود الى المكان (٢) . الصبي يتسمع بالباب)

المعلـم

عدت اليك مرة اخرى . ابنك يقول انه يريد ان يأتي معنا .قلت له انـه لا يستطيع ان يتركك وانت مريضة ، وافهمته انها رحلـة شاقـة وخطرة . من المستحيل ان تأتي معنا ، هذا هو ما قلته له . لكنه قال انه مصمم على السفر معنا للحصول على الدواء الذي يشفي مرضـك ونصائح الحكمـاء من المدينة الواقعة عبر الجبال .

الأم

سمعت كلمـاته . انا لا اشك فيمـا يقوله الصبي ـ لا اشك في انه يـود ان يصحبك في هذه الجولة الخطرة .

تعال ياولدي ! (الصبي يدخل المكان «٢»)

من يوم ان تركنا ابـوك

وليس لـي احـد سواك

ما غبت ابدا عـن ذاكرتـي

ولا عـن عينـي

الا بقـدر مـا احتـاج

لاعداد طعامـك

وترتيب ثيابـك

والحصول على المـال .

الصبي

كل ما قلت صحيح . لكـن مع هذا

لن يستطيع احد ان يثنيني عن عزمي

الصبي ، الام والمعلـم

سأقوم (سيقوم) بالرحلة الخطرة

واحصل على الدواء

الذي يشفيك من مرضك (يشفيني من مرضي ، يشفيها ..)

والتمس نصائح الحكمـاء

من المدينة الواقعة عبر الجبال .

الكـورس الكبيـر

حاولوا فمـا وجدوا مـن سبيـل

يثنيه عـن عزمـه .

هناك قال المعلم والام

في صـوت واحد :

المعلـم والام

الكثيرون يوافقون على الخطـأ ،

اما هـو فـلا يوافق على المرض ،

وانمـا يريـد لـه الشفـاء .

الكـورس الكبيـر

اما الام فقـالت :

اصبحت عجـوزا ومريضـة .

ان كنت تصمـم حقـا

فاذهب مـع هـذا السيـد

لكـن لا تتأخـر عنـي .

ـ ٢ ـ

الكـورس الكبيـر

بدا القـوم

رحلتهم فـي الجبـال .

كان بينهـم المعلـم

والصبـي .

والصبي لـم يحتمل متاعبهـا :

فظلـم قلبـه

الذي اشتاق للرجـوع .

وعندما اشرق الصبح عند اقـدام الجبل

لم يجد لديه القـدرة

على جـر رجليه المتعبتيـن

(يدخل المعلم والطلبة الثلاثة الى المكان «١» ويتبعهم الصبي حامـلا جـرة)

المعلـم

تسلقنا الجبل بسرعة . هنالك يبدو الكوخ الاول . وهنـاك نريد ان نستريح قليـلا

الطلبة الثلاثـة

سمعا وطاعـة .

(يعتلون المنصة الموجودة في المكان (٢) . الصبي يتحدث مع المعلم على انفراد) .

الصبي

لا بد ان اقـول شيئـا .

المعلم

ماذا تريد ان تقول ؟

الصبي

اشعر انني على غير ما يرام .

المعلم

قف ! هذا كلام لا يصح ان يقوله من يقوم بمثل هذه الرحلة . ربما كنت متعبا لانك لم تتعود على صعود الجبال . توقف قليلا واسترح يعتلي المنصة)

الطلبة الثلاثة

يبدو ان الصبي تعب من صعود الجبل. نريدان نسأل المعلم.

الكورس الكبير

اجل ! افعلوا هذا !

الطلبة الثلاثة

(للمعلم)

سمعنا ان هذا الصبي متعب من صعود الجبل . ماذا جرى له؟ هل أنت قلق عليه ؟

المعلم

انه يشعر بتعب بسيط ، الا ان حالته على خير ما يرام . لقد ارهقه صعود الجبل .

الطلبة الثلاثة

اذن فلست قلقا عليه ؟

(فترة صمت طويلة)

الطلبة الثلاثة

(مع بعضهم البعض)

اسمعتم ؟ قال المعلم ان الصبي

متعب من الصعود فحسب .

ولكن الا يبدو منظره الان غريبا ؟

بعد الكوخ مباشرة يأتي المنحدر الضيق .

لا يعبره أحد حتى يتشبث

بالصخر الناتيء بيديه .

نرجو الا يكون مريضا

لانه ان عجز عن مواصلة السير

فسنضطر لتركه هنا .

نريد ان نسأل المعلم . (للمعلم)

لما سألناك منذ قليل عن الصبي

قلت انه يحس بتعب بسيط من صعود الجبل ،

غير ان منظره الان يبدو غريبا .

وها هو ذا يجلس على الارض .

المعلم

ارى المرض قد الم به .

حاولوا ان تحملوه

وتعبروا به المنحدر الضيق .

الطلبة الثلاثة

سنحاول .

مسألة فنية : يحاول الطلبة الثلاثة ان يعبروا المنحدر الضيق وهم يحملون الصبي . يجب ان يكوّن الممثلون هذا المنحدر الضيق من اخشاب المنصة والحبال والكراسي ... الخ بحيث يمكنهم ان يعبروه وحدهم ويعجزوا عن عبوره ان حملوا الصبي معهم).

الطلبة الثلاثة

نحن لا نستطيع ان نعبر به المنحدر ، ولا نستطيع ان نبقى معه. ايا كان الامر فلا بد ان نواصل السير ، لان هناك مدينة باكملها تنتظر الدواء الذي يجب ان نحصل عليه . ونقول هذا ونحن نحس بالفزع ، ولكنه ان عجز عن السير معنا فلا بد ان نتركه هنا في الجبل .

المعلم

اجل . ربما تحتم عليكم ان تفعلوا هذا . ليس في وسعي ان اعارضكم . ولكني ارى من الصواب ان نسأل المريض ان كان علينا ان نرجع بسببه . قلبي يفيض حزنا على هذا المخلوق المسكين. اريد ان اذهب اليه واشجعه على مواجهة مصيره .

الطلبة الثلاثة

نرجوك ان تفعل هذا . (يقفون وجها لوجه)

الطلبة الثلاثة والكورس الكبير

نريد ان نسأله (سألوه)

ان كان يطلب

ان نرجع بسببه (ان يرجعوا بسببه) .

لكنه حتى ولو طلب هذا

فنحن لا نفكر في الرجوع (فهم لا يفكرون ...)

وانما نريد (وانما يريدون) ان نتركه (ان يتركوه)

ونواصل السير (ويواصلوا السير) .

المعلم

(يهبط الى الصبي في المكان رقم «١»)

أنصت اليّ ! لما كنت مريضا ولن تقدر على مواصلة الرحلة فلا بد ان نتركك هنا . ولكن من الصواب ان يسأل المريض ان كان من الواجب ان نرجع بسببه . والعرف يقضي كذلك بان يجيب المريض قائلا : لا ينبغي ان ترجعوا .

الصبي

فهمت .

المعلم

هل تريد ان نرجع بسببك ؟

الصبي

لا ينبغي ان ترجعوا !

المعلم

هل توافق اذا على ان نتركك هنا ؟

الصبي

دعوني افكر قليلا . (فترة تفكير)

نعم موافق .

المعلم

(ينادي من المكان «١» على المكان «٢»)

نطق بالاجابة التي تمليها الضرورة

الكورس الكبير والطلبة الثلاثة

(يقول الطلبة وهم يهبطون الى المكان «١»)

قال نعم ! واصلوا السير !

(الطلبة الثلاثة يبقون واقفين في اماكنهم)

المعلم

واصلوا السير ، لا تتوقفوا

فلقد قررتم ان تتابعوا الطريق .

(الطلبة الثلاثة يبقون في اماكنهم)

الطلبة الثلاثة

لا نستطيع

الصبي

مهلا ! اني اطالب بهذا .

المعلم

قررتم ان تواصلوا السير وتتركوه .

من السهل ان تقرروا مصيره
لكن من الصعب ان تنفذوه .
هل انتم مستعدون لالقائه في الوادي ؟

الطلبة الثلاثة

نعـم .

(الطلبة الثلاثة يحملون الصبي الى المنصة الموجـودة في المكان رقم «٢»)

اسند رأسك فوق ذراعي
لا ترهـق نفسـك .
انا نحملك برفـق .

(الطلبة الثلاثة يصطفون امامه على الحافـة الخلفيـة للمنصة بحيث يحجبونه تماما)

الصبي

(يسمع صوته دون ان يـرى)

كنت اعلم انني قد افقـد حياتي
في هذه الرحلـة .
التفكير فـي امـي
اغراني بالرحيـل .
خذوا جرتـي
املأوهـا بالدواء
واعطوهـا لامـي
عندما ترجعـون

الكـورس الكبير

هناك اخذ الاصدقاء الجرة
وتشاكـوا اقدار هـذا الوجـود
وقانونه المرير الحزيـن
ثم القوا بالصبي في الوادي .
وقفوا متلاصقين قدمـا بقدم
على حافـة الهاويـة
بعيـون مغمضة القـوه
ما مـن احـد منهم
اكبر ذنبا مـن جاره
ثم القـوا فوقـه
كومـة من التـراب
وقبضـة مـن الحصى
وحفنـة من الرمـال .

قائـل لا

«١»

الكـورس الكبير

اهم ما ينبغي تعلمه هـو الموافقـة .
هناك كثيرون يقولون نعـم ،
ومع ذلـك فليس قولهم هذا دليلا على الموافقـة
كثيرون لا يسألـون عـن رأيهم ،
وكثيرون يوافقـون على الخطـأ .
لهذا فان اهم ما ينبغي تعلمه هو الموافقة

(المعلم في المكان رقم «١» ، والام والصبي في المكان «٢»)

المعلـم

انا المعلم . عندي مدرسة في المدينة، وعندي تلميذ مات ابوه. لـم يبق له احد سوى امه التي ترعاه. سأذهب الان اليهما واودعهما، لانني سأسافـر بعد قليل في رحلـة الى الجبال . (يطرق الباب) هل تأذنـون لـي بالدخـول ؟

الصبي

(ينتقل من المكان «٢» الى المكان «١»)

من ؟ آه ! انه السيد المعلم ! السيد المعلم جاء يزورنا !

المعلم

لمـاذا لم تات الى المدرسة من وقت طويل ؟

الصبي

لم استطع الحضور لان امي كانت مريضة .
لم اكن اعرف هذا . ارجوك . قل لها بسرعة آنني هنا .

الصبي

(ينادي على المكـان «٢»)

أمي . السيد المعلم هنـا

الأم

(جالسة على كرسي من الخشب في المكان «٢»)

اطلب منه ان يتفضل بالدخول .

الصبي

ارجوك . تفضل .

(يدخلان الى المكان «٢»)

المعلم

لم احضر اليكم من مدة طويلة . ابنك يقول انك كنت مريضة . هل تحسنت حالتك الان ؟

الأم

لا تشغل بالك بمرضي ، فانه لم يسبب لي اذى .

المعلم

يسعدني ان اسمع هذا . لقد جئت لاودعك، لانني سأسافر بعد قليل في رحلـة ابحاث الى الجبال ، لان المعلمين العظام يسكنـون المدينـة الواقعـة عبـر الجبـال .

الأم

رحلة ابحاث في الجبال ! نعم . سمعت حقا ان الاطباء العظـام يسكنـون هناك ، لكنني سمعت ايضا انهـا جولة خطرة . هل تنـوي ان تأخذ ولـدي معـك ؟

المعلم

مثل هذه الرحلـة لا يتحملها الاطفـال.

الأم

حسن . اتعشم ان ترجع بالسلامة .

المعلم

يجب الان ان اذهب . الوداع .

(ينتقل الى المكان «١»)

الصبي

(يتبع المعلم الى المكان «١»)

لا بد ان اقول شيئـا .

(الام تتسمع بالبـاب)

المعلم

ماذا تريد ان تقـول ؟

الصبي

اريد ان اصحبك الى الجبال.

المعلم

قلت لامك الان
انها رحلة خطرة وشاقـة .
لن تستطيع الحضور معـي
وفضلا عـن هـذا :
كيف يمكنك ان تترك امك المريضة ؟
ابق هنـا .
مستحيل ان تأتـي معـي .

الصبي

المرض الذي اصاب امي
هو الذي يدعوني للسفر معك
لاحصل لها على الدواء ونصائح الحكماء
من الأطباء العظام الذين يسكنون
في المدينة الواقعة عبر الجبال .

المعلم

ولكن هل توافق
على كل ما قد يحدث لك اثناء الرحلة ؟

الصبي

نعم .

المعلم

لا بد ان اتكلم مع امك مرة اخرى .
(يعود للمكان «٢» . الصبي يتسمع بالباب)

المعلم

عدت اليك مرة اخرى . ابنك يقول انه يريد ان يأتي معنا .
قلت له انه لا يستطيع ان يتركك وانت مريضة ، وافهمته انها رحلة خطرة وشاقة . مستحيل عليك ان تأتي معنا ، هذا هو ماقلته له . لكنه قال انه مصمم على السفر معنا ليحصل على الدواء الذي يشفي مرضك وعلى نصائح الحكماء من المدينة الواقعة عبر الجبال .

الام

سمعت كلماته . أنا لا اشك فيما يقوله الصبي . لا اشك في انه يود ان يصحبك في هذه الجولة الخطرة . تعال ياولدي !
(الصبي يدخل المكان «٢»)

من يوم ان تركنا ابوك
وليس لي احد سواك
ما غبت ابدا عن ذاكرتي
ولا عن عيني
الا بقدر ما احتاج
لاعداد طعامك
وترتيب ثيابك
والحصول على المال .

الصبي

ما قلت صحيح . لكن مع هذا
لا يمكن ان يثنيني شيء عن عزمي

الصبي ، الام ، المعلم

سأقوم (سيقوم) بالجولة الخطرة
واحصل على الدواء
الذي يشفي مرضك (يشفي مرضي ، مرضها)
والتمس نصائح الحكماء
من المدينة الواقعة عبر الجبال .

الكورس الكبير

حاولوا فلم يجدوا من سبيل
يثنيه عن عزمه .
هناك قال المعلم والام
في صوت واحد :

المعلم ، الام

كثيرون يوافقون على الخطأ ،
اما هو ففير موافق على المرض ،
بل يريد ان يجد له الدواء

الكورس الكبير

اما الام فقالت :

الام

اصبحت عجوزا ومريضة
ان كنت تصمم حقا
فاذهب مع هذا السيد
لكن لا تتاخر عني

ـ ٢ ـ

الكورس الكبير

بدأ القوم
رحلتهم في الجبال .
المعلم كان بينهم
وكذلك كان الصبي .
والصبي لم يحتمل متاعبها :
فظلم قلبه
الذي الح عليه بالرجوع
وعندما طلع الفجر عند اقدام الجبل
لم يجد لديه القدرة
على جر رجليه المتعبتين .
(يدخل المعلم والطلبة الثلاثة الى المكان «١» وبعدهم الصبي حاملا جرة)

المعلم

تسلقنا الجبل بسرعة . هناك يبدو الكوخ الاول
وهناك نريد ان نستريح قليلا .

الطلبة الثلاثة

سمعا وطاعة .
(يعتلون المنصة الموجودة في المكان «٢» .
الصبي يتحدث مع المعلم على انفراد)

الصبي

لا بد ان اقول شيئا .

المعلم

ماذا تريد ان تقول ؟

الصبي

اشعر انني على غير ما يرام

المعلم

قف ! هذا كلام لا يصح ان يقوله من يقوم بمثل هذه الرحلة. ربما كنت متعبا لانك لم تتعود على صعود الجبل . توقف قليلا واسترح.
(يعتلي المنصة)

الطلبة الثلاثة

يبدو ان الصبي تعب من صعود الجبل . فلنسأل المعلم .

الكورس الكبير

اجل ! افعلوا هذا !

الطلبة الثلاثة (للمعلم)

سمعنا ان هذا الصبي تعب من صعود الجبل . ماذا جرى له ؟
هل انت قلق عليه ؟

المعلم

انه يشعر بتعب بسيط ، الا ان حالته على خير ما يرام .
لقد ارهقه صعود الجبل .

الطلبة الثلاثة

اذا فلست قلقا عليه ؟
(فترة صمت طويلة)

الطلبة الثلاثة

(لبعضهم البعض)

اسمعتم ؟ قال المعلم ان الصبي
متعب من الصعود فحسب.
ولكن اليس منظره الان غريبا ؟
بعد الكوخ مباشرة يأتي منحدر ضيق
لا يعبره احد حتى يتشبث

بالصخر الناتىء بيديه
لا نقدر ان نحمل احدا .
أيكون علينا في هذى الحالة
ان ننفذ حكم العرف الاكبر ؟
ان نلقيه في بطن الوادي ؟
(ينادون على المكان «١» واضعين ايديهم على هيئةالابواق
امام افواههم)
هل انت مريض من صعود الجبل ؟
الصبي
لا .
انكم تروننى واقفا على رجلىّ .
لو كنت مريضا حقا
او ما كان الاولى بي ان اجلس ؟
(فترة صمت. الصبي يجلس على الارض)
الطلبة الثلاثة
فلنبلغ المعلم بهذا . ياسيد . لما سالناك منذ قليل عن الصبي، قلت انه يشعر بتعب بسيط من صعود الجبل . غير ان منظره الان يبدو غريبا ، وها هو ذا قد جلس علىالارض . هذه عبارة نقولها لك والفزع يملك علينا قلوبنا : فمنذ القدم يسود البلاد هذا العرف الاكبر : من يعجز عن مواصلة السير يلق به في الوادي .
المعلم
ماذا ؟ تريدون ان تلقوا بهذا الطفل في الوادي ؟
الطلبة الثلاثة
نعم . هذا هو ما نريده .
المعلم
هذا ما يقضي به العرف الاكبر . ليس في وسعي ان اعارضه. ولكن العرف الاكبر يقضي كذلك بسؤال المريض ان كان ينبغي الرجوع بسببه . قلبي يفيض اسى على هذا المخلوق المسكين . سأذهب اليه وابلغه في رفق بما يقول به العرف الاكبر .
الطلبة الثلاثة
نرجوك ان تفعل هذا .
(يقفون وجها لوجه)
الطلبة الثلاثة والكورس الكبير
نريد ان نساله (سالوه)
ان كان يطلب
ان نرجع بسببه (ان يرجعوا بسببه)
لكنه حتى ولو طلب هذا .
فنحن لا نفكر في الرجوع (فهم لا يفكرون في الرجوع)
بل سنلقي به في الوادي (بل سيلقون به .. الخ)
المعلم
(.. يهبط الى الصبي في المكان «٢»)
انصت اليّ ! منذ القدم والقانون يقضي بان من يصيبه المرض في مثل هذه الرحلة يلقى به في الوادي . عندئذ يموت على الفور. لكن العرف يقضي كذلك بسؤال المريض ان كان ينبغي الرجوع بسببه . والعرف يقضي ايضا بان يجيب المريض قائلا : لا ينبغي انَ ترجعوا . لو كنت في مكانك لمت عن طيب خاطر !
الصبي
فهمت .
المعلم
هل تطلب ان نرجع بسببك ؟ ام توافق على الالقاء بك فيالوادي كما يقضي بذلك العرف الاكبر ؟
الصبي
(بعد فترة تفكير)
لا . لا اوافق .
المعلم
(ينادي من المكان (١) على المكان «٢»)
تعالوا ! ان جوابه لا يوافق العرف !
الطلبة الثلاثة
(وهم يغادرون مكانهم الى المكان «١»)
قال لا . (للصبي) : لماذا لم تجب بما يوافق العرف ؟ ان من يقول «أ» يتحتم عليه كذلك ان يقول «ب» . لقد سئلت من قبل ان كنت ستوافق على كل ما ينجم عن الرحلة فرددت بالايجاب .
الصبي
كانت اجابتي خاطئة . ولكن سؤالكم ايضا كان خاطئا . ان من يقول «أ» يتحتم عليه كذلك ان يقول «ب» . لقد سئلت من قبل ان الـ «أ» كانت خاطئة . لقد اردت ان احصل لامي على الدواء ، لكنني مرضت ولم يعد هذا في الامكان . اريد ان ارجع على الفورلان هذا هو ما يقضي به الموقف الجديد . وانا ارجوكم ايضا ان ترجعوا معي وتعيدوني الى بيتي . اما عن العلم الذي تبحثون عنه فيمكنه ان ينتظر . واذا كان هناك شيء يمكن تعلمه ـ وهذا هو ما ارجوه ـ فلا بد ان يكون هو الرجوع في مثل هذا الموقف الذي نواجهه . واما عن العرف الاكبر فلست ارى فيه شيئا من العقل . بل انني الان في حاجة الى عرف اخر جديد ينبغي ان ناخذ به على الفور ،واعني به العرف الذي يحتم على الانسان ان يغير تفكيره ازاء كل موقف جديد يواجهه .
الطلبة الثلاثة (للمعلم)
ماذا نفعل ؟ ان ما يقوله الصبي معقول ، وان كان في الواقع خاليا من البطولة .
المعلم
اني اترك لكم ان تفعلوا ما تشاءون . لكن لا بد ان اقول لكم انكم اذا رجعتم فسوف ينهال الناس عليكم بالضحكات منكم والاستهزاء بعاركم .
الطلبة الثلاثة
امن العار ان يدافع عن نفسه ؟
المعلم
لا . ليس هذا في رايي عارا .
الطلبة الثلاثة
اذن فلنعد ادراجنا ، ولنحرص على الا يمنعنا الضحك علينا او التشهير بنا من فعل الحق والصواب ، ولا يعوقنا عرف قديم او تقليد بائد عن الايمان بفكرة صحيحة .
اسند راسك فوق ذراعي
فوق ذراعه ،
لا تجهد نفسك .
انا نحملك برفق
الكورس الكبير
هكذا حمل الاصدقاء الصديق
واسسوا عرفا جديدا
وقانونا جديدا
وعادوا بالصبي الى بيته .
ساروا في صف واحد ،
صف متلاحم
في وجه الضحك ووجه التشهير ،
بعيون مغمضة الجفن
ما منهم واحد
اجبن من صاحبه او جاره .

القاهرة ترجمة عبدالغفار مكاوي